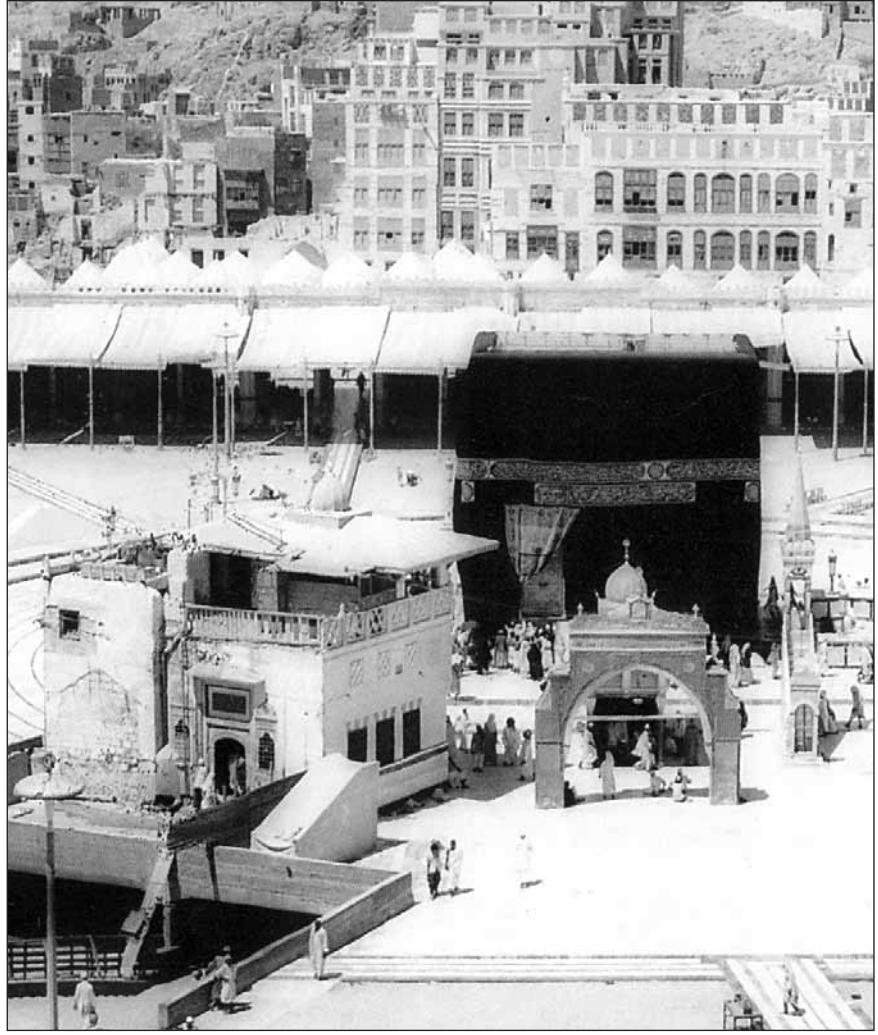

فضائل الحرمين الشريفين في تراث أهل البيت عليهم السلام

محمدعلي المقدادي

تمهيد:

احتلّ الحرمان الشريفان فضيلة وقداسة وتكريماً وتعظيماً، مساحة واسعة في التراث الإسلامي، وعند جميع الفرق والمذاهب الإسلامية، وبالذات فيما وصل

إلينا من أحاديث أهل البيت عليهم السلام، والتي تتميّز بأنها الأفضل والأصحّ؛ لأنها تصدر عن الثقل الثاني بعد التنزيل العزيز، اللذين هما مصدرا العقيدة والتشريع، وفقاً لما جاء به الحديث النبويّ، المعروف بحديث الثقلين، الذي رواه أصحاب الصحاح والمسانيد عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بألفاظ عديدة لكنها متقاربة، منها:

«يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله؛ وعترتي أهل بيتي».[1]

«إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».[2]

وكيف لا تتوفر للحرمين تلك المساحة اللائقة، وهما يشكلان وجودين مباركين في حياة المسلمين في دينهم ودنياهم؛ لما يتمتعان به من خصائص نفتقدها في غيرهما، ولما أسند إليهما من دور في بناء الإنسان المسلم روحيّاً وأخلاقيّاً واجتماعيّاً.. ولما سنّ لهما وخاصة للحرم المكي بمواقيته المتعدّدة من شرائع ومناسك وآداب، بين ما يجب على المسلم أداؤه، وما ينبغي ويستحب له ذلك، حين تواجده فيهما في فريضة أو مستحب يؤديه، وأيضاً لفريضة الحج، وهي السبب الأهم، حين أذّن لها نبيّ الله إبراهيم عليه السلام، بأمر من الله سبحانه وتعالى، فأحيا به هذه البلاد يوم أن بثّ فيها الخير والعطاء، وغدا الناس يأتونها من كل مكان في عالمنا قديماً وحديثاً، ومنذ ذلك الوقت الذي شرع فيه منسك الحج المبارك، وصار يؤديه أنبياء وصالحون.. وما زال وسيبقى هذا المنسك يتوجه نحوه المسلمون والمؤمنون لأدائه، حتى

يـأذن الله تعالى بنهاية الدار الابتلاء والتكاليـف، فينتقل الجميع إلى دار الجزاء والأجر والثواب.

فقداسة الحرمين الشريفين «مكة المكرمـة و المدينة المنـورة» وما لهما من وظائف جليلـة، أمر أجمع عليه أهـل التوحيـد، مما جعلهمـا محلّ اهتمـام أحاديـث كثـيرة ومواقف جليلة لأهل البيت عليهم السلام، وهم الأدرى بفضائل هذين الحرمين، وما لهما من دور كبير ومبارك في حياة المسـلمين في البنـاء الإيماني لهـم، أو الروحي والأخلاقي، فضلاً عما تتركه مناسك الحج واجتماعه السنويّ الحاشد من آثـار في ثقافتهم، وتوحيد صفوفهم، وما يتمخض من منافع جليلة.. وقد شـكلت تلك الأحاديث والأقوال والمواقف تراثاً كبيراً، صار مورد عناية ودراسة من قبل المسلمين، وبالذات أتباع مدرسـة أهل البيت عليهم السلام، على المستوى الفقهي والروحي والخلقي..، ونحن هنا نقتبس ما يتيسـر لنا منه، وبما يتعلـق بفضائل هذين الحرمين المباركين مكة والمدينة، وننشـره إن شاء الله تعالى على شكل حلقات في هذه المجلة.

* * *

الأول: الأماكـن المقدسـة في مكة المكرمة

١ـ الكعبة الشريفة

عدّة من أصحابنـا عن أحمد بن محمّد عن الحسـين بن سـعيد عن فضالـة بن أيّوب عن أبـي المغراء عن أبـي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لا يـزال الدّين قائماً ما قامت الكعبة».[٣]

... عـن معاوية بـن عمار، عن الحسـن بن عبدالله، عـن أبيه، عن جـده الحسـن بـن علي بـن أبي طالب عليه السلام، قال: «جاء نفر من اليهود إلى رسـول الله صلى الله عليه وآله ... قال: لأي شيء

سميت الكعبة؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: سميت الكعبة كعبة، لأنها وسط الدنيا».[٤]

قال أبوعبدالله الصادق عليه السلام: «... وهذا بيت استعبدالله به خلقه، ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثهم على تعظيمه وزيارته، وجعله محل أنبيائه، وقبلة للمصلّين إليه...».[٥]

روي عن بكير بن أعين عن أخيه زرارة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام جعلني الله فداك أسئلك في الحجّ منذ أربعين عاماً فتفتيني فقال: «يا زرارة بيت يحجّ قبل آدم عليه السلام بألفي عام تريد أن تفتى [تفنى] مسائله في أربعين عاماً».[٦]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لله عزّوجلّ في بلاده خمس حرم، حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، وحرمة آل رسول الله عليهم السلام، وحرمة كتاب الله عزّوجلّ، وحرمة كعبة الله، وحرمة المؤمن».[٧]

عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن

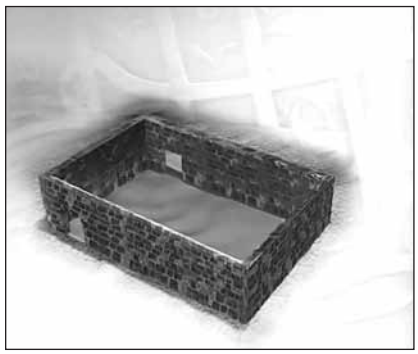

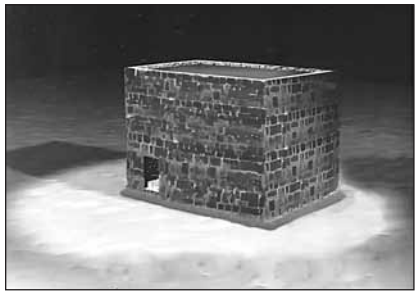

ابـــن أبي عمير عن ابـــن أذينة عن الفضيـــل عن أبي جعفـــر عليه السلام قال: «نظـــر إلى النّـــاس يطوفـــون حول الكعبة فقال: هكـــذا كانوا يطوفون في الجاهليّة إنّما أمروا أن يطوفوا بها ثمّ ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم و مودّتهم و يعرضـــوا علينا نصرتهم ثمّ قرأ هـــذه الآية: ﴿**فاجعل أفئدة من النّاس تهوى إليهم**﴾».[٨]

عن الحســـن بن محبوب عن أبي الصّبـــاح الكنانيّ قـــال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «أيّهما أفضل الإيمان أو الإســـلام؟ فإنّ من قبلنا يقولون إنّ الإســـلام أفضل من الإيمان؟ فقال: ألإيمان أرفـــع من الإســـلام؛ قلت: فأوجدني ذلك قـــال: ما تقول فيمن أحدث في المســـجد الحرام متعمّداً؟ قال قلت: يضرب ضرباً شديداً. قال: أصبت؛ قال: فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمّداً؟ قلت: يقتل؛ قال: أصبت ألا ترى أنّ الكعبة أفضل من المســـجد وأنّ الكعبة تشرك المسجد والمســـجد لا يشرك الكعبة وكذلك الإيمان يشـــرك الإســـلام والإسلام لايشرك الإيمان».[٩]

محمّد بن عقيل عن الحســـن بن الحســـين عن عليّ بن عيســـى عن عليّ بن الحســـن عن محمّد بن يزيد الرّفاعـــيّ رفعـــه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن الوقوف بالجبل لم لم يكن في الحرم؟ فقال: «لأنّ الكعبة بيته والحرم بابـــه فلمّا قصـــدوه وافدين وقفهم بالباب يتضرّعون. قيل له: فالمشـــعر الحرام لم صار في الحرم؟ قال: لأنه لمّا أذن لهـــم بالدّخول وقفهم بالحجاب الثّاني فلمّـــا طال تضرّعهم بها أذن لهـــم لتقريب قربانهـــم فلمّا قضوا تفثهم تطهّروا بها من الذّنوب الّتي كانت حجابـــاً بينهم و بينه أذن لهم بالزيارة علـــى الطّهارة. قيل له: فلم حرّم الصّيام أيّام التّشريق؟ قال: لأنّ القـــوم زوّار الله وهم في ضيافته ولا

يجمل بمضيف أن يصوّم أضيافه. قيل له: فالتّعلّق بأستار الكعبة لأيّ معنى هو؟ قال: مثل رجل له عند آخر جناية و ذنب فهو يتعلّق بثوبه يتضرّع إليه ويخضع له أن يتجافى عن ذنبه».[١٠]

محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن النّعمان عن سعيد الأعرج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ قريشاً لمّا هدموا الكعبة وجدوا في قواعده حجراً فيه كتاب لم يحسنوا قراءته حتّى دعوا رجلاً فقرأه فإذا فيه أنا الله ذو بكّة حرّمتها يوم خلقت السّماوات والأرض ووضعتها بين هذين الجبلين وحففتها بسبعة أملاك حفّاً».[١١]

عليّ بن إبراهيم عن أبيه ومحمّد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان جميعاً عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمّار قال: أتي أبوعبد الله عليه السلام في المسجد فقيل له: إنّ سبعاً من سباع الطّير على الكعبة ليس يمرّ به شيء من حمام الحرم إلاّ ضربه؛ فقال: «انصبوا له واقتلوه فإنه قد ألحد».[١٢]

عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن خالد عن محمّد بن عليّ عن عبد الله بن جبلة عن عبدالملك بن عتبة قال: سألت أباعبد الله عليه السلام عمّا يصل إلينا من ثياب الكعبة هل يصلح لنا أن نلبس شيئاً منها؟ قال: «يصلح للصّبيان والمصاحف والمخدّة تبتغي بذلك البركة إن شاء الله».[١٣]

وروى أصحابنا:«أنّ أول شيء خلق الله من الأرض موضع الكعبة، ثم دحيت الأرض من تحتها».[١٤]

ويجوز أن يقال: المسيح روح الله، لأن الأرواح كلها ملك لله؛ وإنما خص المسيح بالذكر تشريفاً له بهذا الذكر، كما خصّ الكعبة بأنها بيت الله، وإن كانت الأرض كلها لله تعالى.[١٥]

وسميت أمّ القرى، لأنه روي: «أنّ الله تعالى دحا الأرض من تحت

الكعبة».[١٦]

وقوله تعالى: ﴿**والبيت المعمور**﴾ قيل: هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة، تعمره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة. وروي ذلك عن علي عليه السلام وابن عباس ومجاهد.[١٧]

قال علي عليه السلام: «يدخل [البيت المعمور] كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون فيه».[١٨]

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن سعيد بن عبدالله الأعرج، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ قريشاً في الجاهلية هدموا البيت، فلما أرادوا بناءه حيل بينهم وبينه، وألقي في روعهم الرعب حتى قال قائل منهم: ليأتى كل رجل منكم بأطيب ماله ولاتأتوا بما اكتسبتموه من قطيعة رحم أو حرام ففعلوا، فخلى بينهم وبين بنائه، فبنوه حتى انتهوا إلى موضع الحجر الأسود، فتشاجروا فيه أيهم يضع الحجر الأسود في موضعه، حتى كاد أن يكون بينهم شرّ. فحكموا أول من يدخل باب المسجد، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أتاهم أمر بثوب فبسط ثم وضع الحجر في وسطه، ثم أخذت القبايل بجوانب الثوب فرفعوه ثم تناوله صلى الله عليه وآله فوضعه في موضعه فخصه الله به».[١٩]

عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، جميعاً عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «...الإسلام لايشرك الإيمان، والإيمان يشرك الإسلام، وهما في القول والفعل يجتمعان، كما صارت الكعبة في المسجد، والمسجد ليس في الكعبة، وكذلك الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لايشرك الإيمان، وقد قال الله عزّوجلّ: ﴿**قالت الأعراب آمنّا قل**

لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الايمان فى قلوبكم فقول الله عزوجل أصدق القول...».[٢٠]

في كتاب الخصال عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لن يعمل ابن آدم عملاً أعظم عندالله تبارك وتعالى من رجل قتل نبياً أو إماماً أو هدم الكعبة التي جعلها الله تعالى قبلة لعباده، أو أفرغ ماءه في امراة حراماً».[٢١]

وبإسناده إلى عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام لم سميت الكعبة بكة؟ فقال عليه السلام: «لبكاء الناس حولها وفيها».[٢٢]

الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب وصفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا أردت دخول الكعبة فاغتسل قبل أن يدخلها ولاتدخلها بحذاء وتقول إذا دخلت: «أللهم إنك قلت: **ومن دخله كان آمناً** فآمني من عذابك عذاب النار...».[٢٣]

في الكافي محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن أحمد بن هلال، عن عيسى بن عبدالله الهاشمي، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان موضع الكعبة ربوة من الأرض بيضاء تضيء كضوء الشمس والقمر حتى قتل ابنا آدم أحدهما صاحبه اسودت...».[٢٤]

عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للنّاس** قال: «جعلها الله لدينهم ومعايشهم...».[٢٥]

وروي عن الصادق عليه السلام: أنه سئل لم سميت الكعبة كعبة؟ قال: «لأنها مربعة، فقيل له: ولم صارت مربعة؟ قال: لأنها بحذاء البيت المعمور وهو مربع؛ فقيل له: ولم صارت البيت المعمور مربعاً؟ قال: لأنها بحذاء العرش وهو مربع؛ فقيل له: ولم صار العرش مربعاً؟ قال: لأن الكلمات التي بني عليها أربع، وهى سبحان

الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر».[٢٦]

عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «النّظر إلى الكعبة عبادة و النّظر إلى الوالدين عبادة و النّظر إلى الإمام عبادة و قال: من نظر إلى الكعبة كتبت له حسنة و محيت عنه عشر سيّئات».[٢٧]

عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن الحكم عن داود بن النّعمان عن أبي أيّوب الخزّاز عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لا ينبغي لأحد أن يأخذ من تربة ما حول الكعبة و إن أخذ من ذلك شيئاً ردّه».[٢٨]

أحمد بن مهران عمّن حدّثه عن محمّد بن سنان عن حذيفة بن منصور قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ عمّي كنس الكعبة و أخذ من ترابها فنحن نتداوى به؟ فقال: «ردّه إليها».[٢٩]

عن جعفر، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «النظر إلى الكعبة حباً لها يهدم الخطايا هدماً».[٣٠]

قال أبوعبدالله عليه السلام: «من أتى الكعبة فعرف من حقنا وحرمتنا ما عرف من حقها وحرمتها، لم يخرج من مكة إلاّ وقد غفر له ذنوبه، وكفاه الله ما أهمّه من أمر دنياه وآخرته».[٣١]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «حرّم الله المسجد لعلة الكعبة، وحرّم الحرم لعلة المسجد، ووجب الإحرام لعلة الحرم».[٣٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «تفجرت العيون من تحت الكعبة».[٣٣]

وخرج أبوعبدالله عليه السلام من الكعبة وهو يقول: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أللهم لا تجهد بلاءنا، ولاتشمت بنا أعداءنا، فإنك أنت الضار النافع»؛ ثم هبط من الدرجة، فصلى إلى جانبها مما يلي

الحجر الأسود ركعتين، ليس بينه وبين الكعبة من أحد. ثم خرج إلى منزله.[٣٤]

عن مسعدة بن زياد قال: وحدثني جعفر عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «تاركوا الحبشة ما تاركوكم؛ فوالذي نفسي بيده لايستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين».[٣٥]

عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عما يروون أنّ الله خلق آدم على صورته، فقال: «هي صورة، محدثة، مخلوقة واصطفاها الله واختارها على سائر الصور المختلفة، فأضافها إلى نفسه، كما أضاف الكعبة إلى نفسه، والروح إلى نفسه، فقال: ﴿**بيتي**﴾، ﴿**ونفخت فيه من روحي**﴾.[٣٦]

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن علي ابن رئاب، عن حمران بن أعين، قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: «إنّ الله فضل الإيمان على الإسلام بدرجة كما فضل الكعبة على المسجد الحرام».[٣٧]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان موضع الكعبة ربوة من الأرض بيضاء تضيئ كضوء الشمس والقمر حتى قتل ابنا آدم أحدهما صاحبه فاسودت، فلما نزل آدم رفع الله له الأرض كلها، حتى رآها، ثم قال: هذه لك كلها؛ قال: يا رب ما هذه الأرض البيضاء المنيرة؟ قال: هي أرضي وقد جعلت عليك أن تطوف بها كل يوم سبعمائة طواف».[٣٨]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى جعل الكعبة قبلة لأهل المسجد، وجعل المسجد قبلة لأهل الحرم، وجعل الحرم قبلة لأهل الدنيا».[٣٩]

عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمّار عن أبي

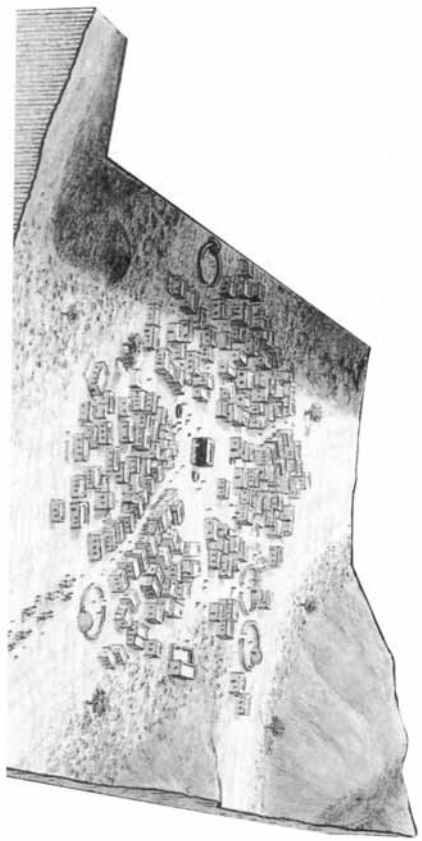

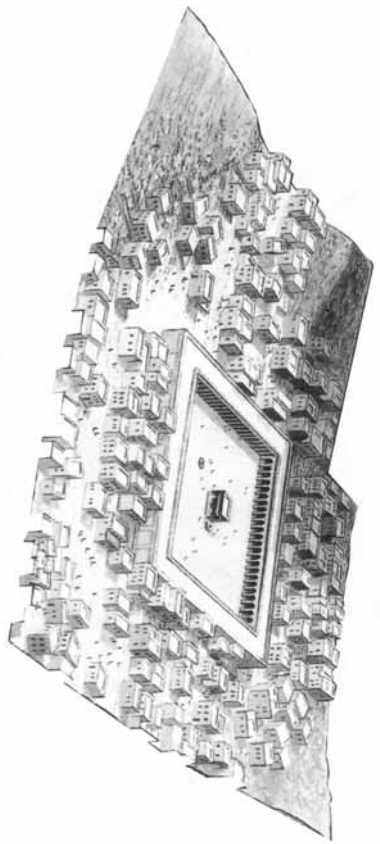

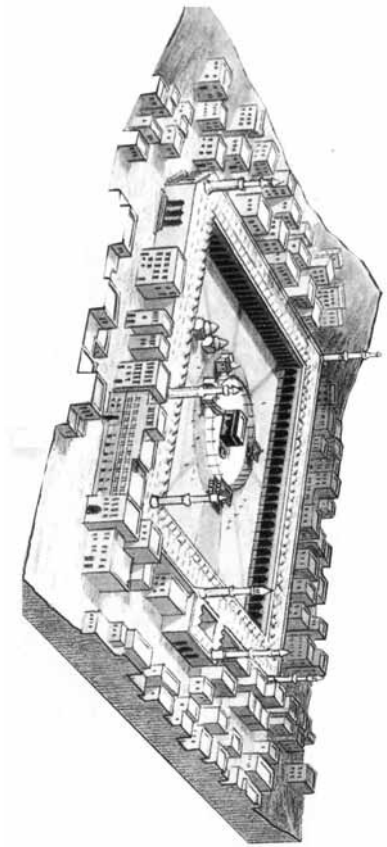

عبد الله عليه السلام قال: «إنّ لله تبارك وتعالى حول الكعبة عشرين و مائة رحمة، منها ستّون للطّائفين، وأربعون للمصلّين، وعشرون للنّاظرين».[٤٠]

أمالي الطوسي قدس سره عن الرضا عليه السلام قال: «دخل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة والأصنام حول الكعبة، وكانت ثلاث مائة وستين صنماً، فجعل يطعنها بمخصرة في يده ويقول: جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً وما يبدئ الباطل وما يعيد؛ فجعلت تنكب لوجوهها».[٤١]

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «آمن برسول الله صلى الله عليه وآله إلا أربعة، عكرمة بن أبي جهل، وعبدالله بن أبي سرح، وأبي مقيس، وأبي صبابة (ابن خسامة خ د) والقنيتين سارة وفرسا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك يوم الفتح: أقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين (معلقين خ د) بأستار الكعبة».[٤٢]

كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: «... وإذا صلى الرجل في المسجد الحرام كان أفضل خشوعه أن ينظر إلى الكعبة، وإذا صلى في غير المسجد الحرام كان أفضل خشوعه أن ينظر إلى موضع سجوده وإذا كان مقابل الكعبة لم يجزله أن يحتبي وهو ناظر إليها».[٤٣]

عن عبدالله بن ميمون القداح، عن جعفر بن محمد عليهما السلام، عن أبيه عليه السلام: «أنه رأى علي بن الحسين عليه السلام يصلي في الكعبة ركعتين».[٤٤]

أبوعلي الأشعري، عن بعض أصحابنا، عن ابن فضال، عن مروان، عن عبدالملك قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن رجل اشترى من كسوة الكعبة شيئاً فقضى ببعضه حاجته وبقي بعضه في يده هل يصلح بيعه؟ قال: «يبيع ما أراد ويهب ما لم يرد، ويستنفع به ويطلب بركته، قلت: أيكفن به الميت؟ قال: لا».[٤٥]

جماعة، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن العلاء، عن محمد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام قال: «لا تصلي المكتوبة في الكعبة». وروي في حديث آخر: «يصلي في أربع جوانبها إذا اضطر إلى ذلك».[٤٦]

عن محمد بن عبدالله الصيقل قال: خرج علينا أبو الحسن يعني الرضا عليه السلام في يوم خمسة وعشرين من ذي القعدة فقال: «صوموا فإني أصبحت صائما، قلنا: جعلنا فداك أي يوم هو؟ فقال: يوم نشرت فيه الرحمة، ودحيت فيه الأرض، ونصبت فيه الكعبة، وهبط فيه آدم عليه السلام».[٤٧]

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابنا، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من أحدث في الكعبة حدثا قتل».[٤٨]

أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن معاوية بن عمار قال: «رأيت العبد الصالح عليه السلام دخل الكعبة فصلى ركعتين على الرخامة الحمراء، ثم قام فاستقبل الحائط بين الركن اليماني والغربي، فوقع يده عليه ولزق به و دعا، ثم تحول إلى الركن اليماني فلصق به ودعا، ثم أتى الركن الغربي ثم خرج».[٤٩]

أبي رحمه الله، قال: حدثنا علي بن سليمان الرازي، قال: حدثنا محمد بن خالد الخزاز، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «... ولا ينبغي لأحد أن يرفع بناءه فوق الكعبة».[٥٠]

وروي عن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال: سألت أبي سيد العابدين عليه السلام فقلت له: يا أبة أخبرني... فقال: «... ومعنى قوله عزّوجل: ﴿**ففرّوا إلى الله**﴾ يعني حجوا إلى بيت الله، يا بني إنّ الكعبة بيت الله، فمن حجّ بيت الله فقد قصد

إلى الله، والمساجد بيوت الله، فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه، والمصلي ما دام في صلاته، فهو واقف بين يدي الله عزوجل...».[٥١]

وسأل المفضل بن عمر أبا عبد الله عليه السلام «... ومن كان في المسجد الحرام صلى إلى الكعبة إلى أي جوانبها شاء، ومصلي في الكعبة صلى إلى أي جوانبها شاء، وأفضل ذلك أن يقف بين العمودين على البلاطة الحمراء، ويستقبل الركن الذي فيه الحجر الأسود...».[٥٢]

وروي: «أنّ في تسع وعشرين من ذي القعدة أنزل الله عزّوجل الكعبة، وهي أول رحمة نزلت، فمن صام ذلك اليوم كان كفارة سبعين سنة».[٥٣]

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «... ومن نظر إلى الكعبة عارفاً بحقها غفر الله له ذنوبه وكفى ما أهمه».[٥٤]

قال أبو جعفر عليه السلام: «لما أراد الله عز وجل أن يخلق الأرض أمر الرياح الأربع فضربن متن الماء حتى صار موجاً، ثم أزبد فصار زبداً واحداً، فجمعه في موضع البيت، ثم جعله جبلاً من زبد، ثم دحا الأرض من تحته، وهو قول الله عزّوجل: ﴿**إنّ أوّل بيت وضع للنّاس للّذى ببكّة مباركاً**﴾ فأول بقعة خلقت من الأرض الكعبة، ثم مدت الأرض منها».[٥٥]

الحسين بن سعيد، عن الحسن بن علي بن فضال، عن يونس بن يعقوب، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام حضرت الصلاة المكتوبة وأنا في الكعبة أفأصلي فيها؟ قال: صلّ».[٥٦]

روى الصدوق، عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحسن الطويل، عن عبدالله بن المغيرة، عن ذريح بن يزيد المحاربي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله عزّوجلّ أغرق الأرض كلها يوم نوح إلاّ البيت، فيومئذ سمي

العتيق؛ لأنه أعتق يومئذ من الغرق، فقلت له: أصعد إلى السماء؟ فقال: لا، لم يصل إليه الماء، و رفع عنه».[٥٧]

قال الصادق عليه السلام: «أساس البيت من الأرض السابعة السفلى إلى الأرض السابعة العليا».[٥٨]

أبان بن عثمان، عمن أخبره عن أبي جعفر عليه السلام: قلت له: لم سمي البيت العتيق؟ قال: «هو بيت حر عتيق من الناس، لم يملكه أحد».[٥٩]

أبوحمزة الثمالي: قلت لأبي جعفر عليه السلام في المسجد الحرام: لأي شيء سماه الله العتيق؟ فقال: «إنه ليس من بيت وضعه الله على وجه الأرض إلاّ له رب وسكان يسكنونه، غير هذا البيت، فإنه لاربّ له إلاّ الله عزّوجلّ، وهو الحرّ».[٦٠]

الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله عزّوجلّ أغرق الأرض كلها يوم نوح إلاّ البيت، فيومئذ سمي العتيق؛ لأنه أعتق يومئذ من الغرق».[٦١]

عنه عليه السلام ـ حين سئل: لم سمي البيت العتيق؟ ـ : «لأنّ الله تعالى عتقه من الطوفان».[٦٢]

الإمام علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**إنّ أوّل بيت وضع للنّاس للّذى ببكّة مباركاً**﴾: «كانت البيوت قبلة، ولكن كان أول بيت وضع لعبادة الله».[٦٣]

خالد بن عرعرة: سأل رجل علياً عليه السلام عن: ﴿**أوّل بيت وضع للنّاس للّذى ببكّة مباركاً**﴾ أهو أول بيت بني في الأرض؟ قال: «لا، ولكنه أول بيت وضع فيه البركة والهدى ومقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً».[٦٤]

الإمام الباقر عليه السلام: ﴿**إنّ أوّل بيت وضع للنّاس للّذى ببكّة مباركاً**﴾ «فأول بقعة خلقت من الأرض الكعبة، ثم مدت الأرض منها».[٦٥]

زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام: «ما خلق الله عزّوجلّ بقعة في الأرض أحب إليه منها ـ ثم أومأ بيده نحو الكعبة ـ ولا أكرم على الله عزّوجلّ

منها، لها حرم الله الأشهر الحرم في كتابه يوم خلق السماوات والأرض، ثلاثة متوالية للحج: شوال وذو القعدة وذو الحجة، وشهر مفرد للعمرة (وهو) رجب».[٦٦]

الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله عزّوجلّ اختار من كل شيء شيئاً، (و) اختار من الأرض موضع الكعبة».[٦٧]

عنه عن آبائه عليهم السلام ـ في وصف الكعبة ـ : «البيت حجة الله في أرضه على خلقه».[٦٨]

يونس: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إذا دخلت الكعبة كيف أصنع؟ قال: «خذ بحلقتي الباب إذا دخلت، ثم امض حتى تأتي العمودين، فصل على الرخامة الحمراء، ثم إذا خرجت من البيت فنزلت من الدرجة فصل عن يمينك ركعتين».[٦٩]

الإمام الباقر عليه السلام: «أما بدء هذا البيت فإنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ فردت الملائكة على الله عزّوجلّ فقالت: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾؟![٧٠] فأعرض عنها، فرأت أنّ ذلك من سخطه فلاذت بعرشه، فأمر الله ملكاً من الملائكة أن يجعل له بيتاً في السماء السادسة يسمى الضراح،[٧١] بإزاء عرشه، فصيره لأهل السماء، يطوف به سبعون ألف ملك في كل يوم لايعودون، ويستغفرون. فلما أن هبط آدم إلى السماء الدنيا أمره بمرمة هذا البيت ـ وهو بإزاء ذلك ـ فصيره لآدم وذريته كما صير ذلك لأهل السماء».[٧٢]

عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام: «أمر الله الملائكة أن تبني في الأرض بيتاً ليطوف به من أصاب ذنباً من ولد آدم عليه السلام كما طافت الملائكة بعرشه؛ فيرضى عنهم كما رضي عن الملائكة، فبنوا مكان البيت بيتاً

رفع زمان الطوفان، فهو في السماء الرابعة، يلجه كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون إليه أبداً، وعلى أساسه وضع إبراهيم عليه السلام البيت...».[٧٣]

أبوخديجة عن الإمام الصادق عليه السلام: قلت له: لم سمي البيت العتيق؟ قال: «إنّ الله عزّوجلّ أنزل الحجر الأسود لآدم من الجنة، وكان البيت درة بيضاء، فرفعه الله إلى السماء وبقي أسه، فهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لايرجعون إليه أبداً، فأمر الله إبراهيم وإسماعيل ببنيان البيت على القواعد».[٧٤]

عوالي اللآلي: وفي الحديث: «أنّ إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت، جاء جبرئيل فأمره أن يؤذن في الناس بالحج، فقال إبراهيم: يا رب وما عسى أن يبلغ صوتي؟ فقال تعالى: أذّن وعليّ البلاغ، فعلا إبراهيم المقام فارتفع حتى صار كأعلى طود يكون من الجبال، وأقبل بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً، ونادى: أيها الناس، كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا، فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء: لبيك اللهم لبيك».[٧٥]

عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي عبدالله عليه السلام إنه سئل عن استلام الكعبة؟ فقال: «من دبرها».[٧٦]

عن صفوان عن الجاهد عن ذريح قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام في الكعبة وهو ساجد وهو يقول:

«لا يرد غضبك إلاّ حلمك، ولا يجير من عذابك إلاّ رحمتك، ولا نجاء منك إلاّ بالتضرع إليك، فهب لي يا إلهي فرجاً بالقدرة التي بها تحيي أموات العباد، وبها تنشر ميت البلاد، ولا تهلكني يا إلهي غماً

حتى تستجيب لي دعائي، وتعرفني الإجابة، أللهم ارزقني العافية إلى منتهى أجلي، ولا تشمت بي عدوي ولا تمكنه من عنقي، من ذا الذي يرفعني إن وضعتني، ومن ذا الذي يضعني إن رفعتني، وإن أهلكتني فمن ذا الذي يعرض لك في عبدك، أو يسألك عن أمرك، فقد علمت يا إلهي أنه ليس في حكمك ظلم، ولا في نقمتك عجلة، وإنما يعجل من يخاف الفوت، ويحتاج إلى الظلم الضعيف، وقد تعاليت يا إلهي عن ذلك، إلهي فلا تعجلني للبلاء غرضاً، ولا لنقمتك نصباً، ومهلني ونفسي، وأقلني عثرتي، ولا ترد يدي في نحري، ولا تتبعني ببلاء على اثر بلاء، فقد ترى ضعفي وتضرعي إليك، ووحشتي من الناس، وأنسي بك، أعوذ بك اليوم فأعذني، وأستجير بك فأجرني، وأستعين بك على الضراء فأعني، واستنصرك فانصرني، وأتوكل عليك فاكفني، وأؤمن بك فآمني، وأستهديك فاهدني، وأسترحمك فارحمني، وأستغفرك مما تعلم فاغفر لي، وأسترزقك من فضلك الواسع فارزقني، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».[٧٧]

عن إبراهيم بن أبي محمود قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام ودّع البيت، فلما أراد أن يخرج من باب المسجد خرّ ساجداً، ثم قام فاستقبل الكعبة فقال: «أللهم إني أنقلب على أن لا إله إلاّ أنت».[٧٨]

الهوامش:

١ . بحار الأنوار٢٩ : ٣٤٠ ؛ مسند الرضا عليه السلام، داود بن سليمان الغازي: ٢٠٣ ؛ كمال الدين، الشيخ الصدوق:٢٣٨.

٢ . أنظر التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله للشيخ منصور علي ناصف، من علماء الأزهر الشريف١: ٤٧ ؛ كتاب الإسلام والإيمان. و٣: ٣٤٨ كتاب الفضائل، وغيره من المصادر.

٣ . الكافي٤ : ٢٧١.

٤ . من لايحضره الفقيه ٢ : ١٩٠؛ الأمالي، الصدوق : ٢٥٤.

٥ . الكافي ٤ : ١٩٧.

٦ . من لايحضره الفقيه ٢ : ٥١٩ ؛ وسائل الشيعة ١١: ١٢.

٧ . الكافي ٨ : ١٠٧.

٨ . المصدر السابق ١: ٣٩٢.

٩ . المصدر السابق ٢: ٢٦.

١٠ . المصدر السابق ٤: ٢٢٤.

١١ . المصدر السابق ٤: ٢٢٥.

١٢ . المصدر السابق ٤: ٢٢٧.

١٣ . المصدر السابق ٤: ٢٢٩.

١٤ . التبيان، الشيخ الطوسي٢: ٥٣٤.

١٥ . المصدر السابق ٥ :٤٠٠.

١٦ . المصدر السابق ٩ :١٤٠.

١٧ . المصدر السابق ٩ :٤٠٢.

١٨ . المصدر السابق.

١٩ . الكافي ٤: ٢١٧.

٢٠ . المصدر السابق٢: ٢٦.

٢١ . الخصال، الشيخ الصدوق:١٢٠.

٢٢ . بحار الأنوار٩٦ : ٧٨.

٢٣ . تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي٥: ٢٧٦.

٢٤ . الكافي٤: ١٨٩.

٢٥ . وسائل الشيعة، الحر العاملي١١: ٦٠.

٢٦ . بحار الأنوار، العلامة المجلسي٩٦: ٥٧.

٢٧ . الكافي ٤ :٢٤٠.

٢٨ . المصدر السابق٤ :٢٢٩.

٢٩ . المصدر السابق.

٣٠ . المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي١: ٦٩ ؛ وسائل الشيعة١٣: ٢٦٥.

٣١ . المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي١: ٦٩.

٣٢ . المصدر السابق٢: ٣٣٠.

٣٣ . المصدر السابق٢: ٥٧٠.

٣٤ . قرب الإسناد، الحميري القمي : ٤.

٣٥ . المصدر السابق :٨٢ . قال ابن الأثير في نهايته٢ : ٤٢٣ : السويقة تصغير الساق، وهي مؤنثة، فلذلك ظهرت التاء في تصغيرها، وأنما صغر الساق لأنّ الغالب على سوق الحبشة الدقة والحموشة.

٣٦ . الكافي١ : ١٣٤.
٣٧ . المصدر السابق ٢ : ٥٢.
٣٨ . المصدر السابق ٤ : ١٨٩.
٣٩ . علل الشرائع، الشيخ الصدوق٢: ٤١٥.
٤٠ . الكافي٤ :٢٤٠.
٤١ . بحار الأنوار٢١: ١١٦.
٤٢ . الأصول الستة عشر ـ عدة محدثين ـ :٣٥.
٤٣ . المصدر السابق: ١٢٣ـ ١٢٤.
٤٤ . قرب الإسناد، الحميري القمي: ٢٣.
٤٥ . الكافي، الشيخ الكليني٣: ١٤٨.
٤٦ . المصدر السابق٣: ٣٩١.
٤٧ . المصدر السابق٤: ١٤٩ـ١٥٠.
٤٨ . المصدر السابق٧: ٢٦٥.
٤٩ . المصدر السابق٤: ٥٢٩.
٥٠ . علل الشرائع، الشيخ الصدوق٢: ٤٤٦.
٥١ . من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق١: ١٩٨ـ ١٩٩.
٥٢ . المصدر السابق١: ٢٧٢ـ ٢٧٤.
٥٣ . المصدر السابق٢: ٩٠.
٥٤ . المصدر السابق٢: ٢٠٣ـ ٢٠٤.
٥٥ . المصدر السابق٢: ٢٤١.
٥٦ . الاستبصار، الشيخ الطوسي١: ٢٩٨.
٥٧ . علل الشرايع٢ :٣٩٩، باب العلة التي من أجلها سمي البيت العتيق، ح ٥.
٥٨ . الوسائل٤ :٣٣٩، الباب ١٨ من أبواب القبلة، ح ٣؛ والفقيه٢ :٢٤٢.
٥٩ . الحج والعمرة في الكتاب والسنة، محمدي الري شهري:٧٤، نقلاً عن: الكافي٤: ٦/١٨٩؛ المحاسن٢: ١١٨٥/٦٦؛ علل الشرائع:٣/٣٩٩ ؛ الفقيه٢: ٢١١٣/١٩١.
٦٠ . المصدر السابق.
٦١ . المصدر السابق.
٦٢ . المصدر السابق؛ إحقاق الحق١٢: ٢٩٠ نقلاً عن نورالأبصار والفصول المهمة.
٦٣ . كنزالعمال،المتقي الهندي٢: ٣٧٨، ح٤٢٩٧ ؛ تفسير الميزان، السيد الطباطبائي٣: ٣٥٦.
٦٤ . المستدرك، الحاكم النيسابوري٢: ٢٩٣.
٦٥ . من لايحضره الفقيه، الشيخ الصدوق٢: ٢٤١ ؛ تفسير الميزان٣: ٣٥٦.
٦٦ . تفسير نور الثقلين٢: ٢١٥.
٦٧ . الفقيه٢: ٢٣٠٦/٢٤٣.
٦٨ . تفسير العياشي١: ٢٢/٣٩.
٦٩ . الكافي، الشيخ الكليني٤ : ٥٣٠.
٧٠ . البقرة:٣٠.
٧١ . الضراح: بيت في السماء مقابل الكعبة في الأرض، قيل: هو البيت المعمور (تاج العروس٤: ١٣٤).
٧٢ . الكافي٤ :١٨٧.
٧٣ . بحار الأنوار ٩٦ : ٤٧ ؛ دعائم

الإسلام٢٩٢:١.

٧٤. بحار الأنوار ٥٥ : ٥٧ ؛ علل الشرائع:١/٣٩٨؛ الفقيه٢: ٢٣٠٢/٢٤٢.

٧٥. عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسايي٤ : ٣٦ ؛ مستدرك الوسائل٨ :١١ـ١٢ ؛ جامع أحاديث الشيعة ١٠ : ٢٣٥.

٧٦. المصدر السابق.

٧٧. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي٥: ٢٧٦ـ٢٧٧ ؛ جواهر الكلام٢٠ : ٦٣ـ٦٢.

٧٨. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي٥ :٢٨١.